محض النصيحة

للشيخ ربيع وفقه الله

كتبه:

فضيلة الشيخ

أبو حاتم سعيد بن دعاس المشوشي اليافعي

رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين وبعد:

إلى أبي محمدٍ الشيخ ربيع بن هادي المدخلي –وفقه الله وسدده–: أيها الشيخُ: طالَما أكننا لك الاحترامَ والإجلالَ، لما كنا نراهُ من النفاحِ عن الحقِ وأهلِه، والتصدي للباطلِ وأهلهِ المعتدينَ على معاقلِ العلمِ والمنهجِ السلفيِّ ودعاتهِ وحملتِه، كما هوَ موقفُكم في وجهِ فتنةِ الحدادِ وباشميل، حينَ سعوا للإطاحةِ بالدعوةِ السلفية ودعاتهَا وحملتِها ومعاقلِها آنذاكَ، بغياً وحسداً وخدمةً لأعداءِ السلفيَّةِ بالأكاذيبِ والافتراءِ والتحاملِ.

حتى جاءت فتنةُ عبدالرحمنِ العدني ومَن انضمَّ إلى صَفِّهِ على معقلِ العلمِ والمنهجِ السلفي وحملتِه في دارِ الحديثِ بدماجَ، وبالأخصِّ على عالِمِها خليفةِ الإمامِ الوادعيِّ شيخنا العلامة يحيى – أيدهُ الله–، عَلى منوالِ فتنةِ الحداد وباشميل عَلى معاقل العلم والمنهج السلفيِّ وحملتِه بعدَ أخواتٍ لهَا، لا تفترِقُ عَنهَا كفتنةِ أبي الحسنِ والبكريِّ، فلَم نرَ الموقفَ الشـرعيَّ مِنكَ –وفقكَ الله وسددكَ– من هذهِ الفتنةِ الظالمةِ التي تَصدَّيتَ لنظائرِها التي لا تفتَرق عَنهَا بالأمسِ بقوَّةٍ لَّا كنتَ مقصوداً بِهَا، حتى وسمكَ كثيرٌ من الناسِ –وربَّما كانَ مِنهم أهل عِلمٍ وفضلٍ– بالقَسوةِ والغلوِّ في تبديعِ مُخالفكَ وإسقاطِه.

والأدهَى مِن عدمِ اتخاذِ الموقفِ الشرعيِّ منكَ –وفقك الله وسددكَ– من أربابِ هذهِ الفتنةِ الظالمةِ التي هي كسابقاتِها وأشدُّ، وتصديتَ لها بقوةٍ بالغةٍ حينَ كنتَ مقصوداً بِهَا، الأدهى من هذا أَن صرتَ –وفقكَ الله وسددكَ– عضداً ونصيراً لأصحابِها، وقَد كُنتَ بالأمسِ خصيماً لهَا ولأهلِهَا، وإنَّما اختَلفتِ–اليومَ– الوجوهُ، وتغيرتِ –اليومَ– الوجهةُ، وإلا ففتنَة اليومِ تجاهَ دارِ الحديث بدماجَ وعالِمِها، هيَ فتنةُ الأمسِ تجاهكَ، ومقصودُها اليومَ من دارِ الحديثِ وعالِمِهَا، هوَ مقصودُها بالأمسِ منكَ –سددكَ الله–، ومنهجُ ذويها اليومَ هوَ منهجُ ذويهَا بالأمسِ بلا فرقٍ.

ففرحَ بموقفكَ هذا مَن لبسَ ثوبَ التربصِ بالدعوةِ السلفيةِ في اليمنِ، وبالأخصِ بمعقلِها في دارِ الحديثِ وبعالِمِهَا خليفةِ الإمامِ الوادعي، وسُرَّ بهِ مَن امتلأ قلبُه حقداً ممن تلوثَ بفتنةِ أبي الحسن من أمثالِ الوترِ وهاني بريك وغيرهم، أو تلوَّث بفتنةِ أصحاب الجمعياتِ الحزبية القطبيةِ السرورية قبلَ فتنةِ أبي الحسن، من أمثالِ محمد الإمام وغيره، الذين لا قناعةَ لهم بالسير الصافي النقيِّ من شوائبِ الأفكارِ الخلفيةِ التمييعة، والمطامعِ الدنيويَّةِ، فكلَّما ثارتْ فتنةٌ صاروا في صفِّهَا ﴿ فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾

وأساءَ موقفكَ هذا –سددك الله– كلَّ سلفيٍّ ناصحٍ قَد اتخذَ من الفتنِ السابقةِ دروساً، وعلمَ أساليبَ أهلِ التحزبِ والمكرِ بالدعوةِ السلفيةِ وعرفَ أفكارَهم التمييعةِ التي يهدفونَ بها إلى تمييعِ الدعوةِ وتغيير مسارها، ساءهم هذا الموقف حينَ صيَّرتَ من نفسكَ نصيرَاً وعضداً لِمَن لا تفترقُ فتنتهُ وأفكَارُه ومنهجُه عن فتنةِ وأفكَارِ ومنهجِ أهل التحزب الأوائل، وكنتَ –وفقك الله وسددك– من خُصماءِ أربابِ هذهِ الفتن والأفكار الألدَّاءِ، فشعروا أن وراءَ هذا الموقفِ شيئا غريبا.

فكانَ من مُقتَضى الأخوةِ الإسلامية بذلُ النصحِ والتذكيرِ بالله، وما ثَمَّ أحدٌ أرفعُ من التذكير والنصحِ، فاستعنتُ بالله عَلى كتابةِ هذِهِ النصيحةِ عسَى أن ينفعَ لله بها مَن تكتَحلُ عينُه بما فيها من التذكيرِ.

۞ أيَّهَا الشيخُ –وفقكَ الله وسددكَ-: إن سنةَ الله لا تتبدَّل، وأحكامه لا تتغيَّرُ عند مَن رُزِقَ الإنصاف والتَّجرد إذا اتفقتْ أسبابُ الحكمِ ومقتضياتُه، فَما كانَ فتنةً في الزمانِ الماضي فهوَ فتنةٌ فيما بعدهُ، وما كان بغياً عَلى زيدٍ فهوَ بغيٌ عَلى عبيدٍ، وأحكامُها لا تختلفُ، وليسَ مِن شأن المُتجرد المنصفِ الكيل بِمكاييلَ مختلفةٍ، أو معرفة ما كان ينكر، أو إنكارُ ما كان يعرفُ.

ولقد أثبتت الكتاباتُ الزاخرةُ بالحقائقِ على الحزب العدني، كـ"مختصر البيان" ما يدل بالمجموعِ دلالةً يقينيَّة عَلى فتنةٍ من صيَّرتَ من نفسكَ –وفقك الله- عضداً ونصيراً لهم، ولا يخفَى عَلى مَن له درايةٌ بعلمِ الحديث والأصولِ أن مثلَ هذهِ الحقائق المتكاثرة، ولو لم يطَّلع الناظرُ عَلى ثقةِ نقلتِها، فهيَ بمجموعها دالةٌ على ثبوتِ فتنةِ هؤلاءِ بالتواتر المعنوي، كيفَ وثقةُ هؤلاءِ النقلةِ ثابتٌ، لا يُشترَطُ أن تقفَ عليهِ بنفسكَ، بل يكفي ثبوتُه بتزكيةِ عدل معتبرٍ كما هوَ معلومٌ من قواعدِ أهل الحديث.

ولقَد أدَنتَ أناساً بالفتنة والتحزبِ فِيما مضَى بِما لم يبلغْ هذا المبلغَ من الحقائقِ والنقلةِ لها، وكانَ توثيقكَ لهم كافياً لغيركَ ممن لا يعرفُهم في اعتبارِ ما نقلوهُ وأثبتوهُ، فلا يليقُ بعدَ هذا –وفقك الله وسددك- الإعراض والإهمال لهذا الأصل الأصيلِ مع غيركَ، فليسَ هذا ميزانُ قسطٍ وإنصافٍ.

۞ وما أُثبِتَ من الحقائقِ المتكاثرةِ التي أدانت الحزب العدني بالتلوثِ بالبغي والافتراءِ وشقِّ الصفِ والسعي بالفرقةِ والتحريشِ، وسلوكِ المنهجياتِ الخلفيةِ كالتقاربِ مع أهلِ التحزبِ الأوائل من حسنيةٍ وغيرِهم واللفلفةِ التي تخالفُ منهج التصفيةِ والتربيةِ وعُرِفَتْ في منهجِ الإخوانِ المفلسين والمنهج الواسع الأفيحِ الذي دعا إليه أبو الحسن ورددته عليهِ أنتَ وغير ذلك مما يطول ذكرهُ هنا وقَد أوضحَتْهُ الردود على الحزب العدني وعلى كتاب "الإبانة"، لا يشكُ منصفٌ أنهُ منكرٌ وباطل، والظنُّ بك أرفعُ من أنْ تَرى أن هذهِ الأمور منهم قرباتٌ وطاعاتٌ، ودين وشرعٌ، فإن من اعتقَد ذلك فقَد اتخذ مما نهَى اللهُ عنه، وحذرَ منهُ، وقبَّحَه شَريعةً ودِيناً ومنهَجاً، وهذا سبيلُ ابتداعٍ في دين الله كما حرر هذا أهل العلم، وقَد يسر الله توضيحَ ذلكَ في رسالةٍ مختصرةٍ بعنوان "توضيح الخلاف المنهجي في فتنة الحزب الجديد"، بِمَا يُقنعُ المنصفَ المتجردَ–إن شاء الله-.

وما صدر من الحزب العدني من الأفعالِ المنكرة الثابتةِ عنهُم بيقين صدرتْ مِنهُم تديناً وتشرعاً وانتِهاجاً، وهذا شيءٌ لا يخالفونَ فيهِ أنفسهم، إذ يرونَ أن ما يقومونَ به مما هو في دين الله بغي واعتداءٌ على دعوةٍ ومنهجٍ، يرونَه ديناً ودعوةً وحقًّا، وإلا فليعتَرفوا بإدانةِ أنفسِهم بالفتنة والفرقةِ في الدعوةِ السلفيةِ.

والظنُّ بكَ أرفع مِن أن تظنَّ بِمن اتخذَ المخالفاتِ والمنكراتِ دِيناً ومنهجاً الظنَّ الحسنَ، وتَرَى براءته من تبعاتِ ذلكَ، وإلا فقل بوضوحٍ بأن ما صدر منهُم -ولا يزالُ يصدرُ- حقٌّ ودينٌ وبرٌ وطاعةٌ وقربةٌ حتى يَرى كلُّ أحدٍ سبيلَه، فالله غالبٌ عَلى أمرِه، ولن يجعلَ لمن بغى واعتدى عَلى أولياءِه وحملةِ دِينِه والدعاةِ إلى سبيلِه سبيلاً.

ولعمرو الله لئن كان ما فعلَه حزبُ العدني تجاه دار الحديث وعالِمِها فُعِلَ كلهُ أو بعضُه تجاهَكَ لما ترددتَ في الحُكم علَيهم بالفتنةِ والانحرافِ، ولَما توانيتَ بتحميلِهم تبعات ذلكَ كما حكمتَ عَلى مَن هوَ أقلُّ بغياً وافتراءً وفتنةً عليك مِن بغي وافتراءِ وفتنة هؤلاءِ على دارِ الحديث وعالِمِها، والمؤمن الصادقُ هوَ الذي يأتِي الناس ما يحبُ أن يؤتَى إليه، كما أخبر بذلكَ الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، وهو العدل الذي أمرَ الله تعالى به في قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ ﴾﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾فلا تختلف عندهُ الموازينُ وتتناقض المواقف مُجاملةً لأحدٍ من الخلق، ولا لقضاءِ غرضٍ شخصيٍّ من جاهٍ أو شرفٍ أو ترأسٍ أو نحو ذلك مما قَد يُصابُ به الإنسان.

وما أحسنَ ما قالهُ العلامةُ البقاعيُّ، وفيهِ تذكيرٌ لَمن فيه بقيَّةُ تَجردٍ وإنصافٍ واتباعٍ في كتاب مصرع "التصوفِ" في الكلامِ عَلى ما أجرمَ به الزنديقُ ابنُ الفارضِ من مخاطبةِ الله سبحانهُ وتعالى بضميرِ المؤنث فيما يزيدُ عَلى ثلثمائةِ بيتٍ من الشعر، وأنهُ لو خُوطبَ به أحدٌ من الخلقِ لما رضيَ بذلكَ، راداً عَلى من أحسنَ به الظنَّ مع وضوحِ انتهاكِه لحرمة الله تعالى، قال: : ولو خاطَبَ أحداً من أهلِ الزَّمانِ بِمثلِ ذلكَ قاتَلهُ -**لكنَّ النَّاسَ لا يَحلمونَ إلا عندَ حُقوقِ مولاهُم سبحانَه، فأمَّا في حقُوقِهم، فَهُم في غايةِ الحِدَّةِ والمُشاحَحةِ؟!!**-.اهـ

فحريٌّ بمن قضى عمرَه في خدمةِ الدينِ ونصرةِ الحقِّ كي يسلمَ من هذهِ المزلةِ الخطرةِ أن يلزمَ هديَ النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المقام كما قالت عائشة رضي الله عنهَا: ما انتقمَ النبي صلى الله عليه وسلم لنفسهِ قط إلا أن تُنتَهكَ حرماتُ الله. قال ابنُ بطال: **سواءٌ كانَ حقّاً لله، أو للعبادِ!!**-.اهـ

۞ واعلم -وفقك الله وسددك- أنه لا سبيلَ إلى معارضةِ ما أثبتَه شيخنا العلامة يحيى -رعاه الله- وطلابهُ في ردودهم العلميَّة إلا بالمنهجِ الذي رسمه الشـرعُ، وقرره أهل الحديث والأصولِ، وهو إقامةُ البرهانِ على انتفاءِ ما ثبتَ من الحقائقِ وانتفاءِ أحكامهَا كما قال سبحانهُ: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾فطالبهم بالبرهانِ على ما نفوه.

ولهذا قطعَ المحققونَ من الأصوليين بأنَّ نافي الحكم يلزمُه إقامة البرهانِ على صحةِ نفيه، ولا يكفيه مجرد النفي، إذ لو كان هذا كافياً لضاعَ الحقُّ، إذ يمكنُ كل ذي دعوى أن يدعيها بصيغةِ النفي، فلا يلزمُه إقامة البرهان،كما تراهُ في شرح "مختصر الروضة" للمحقق الطوفي.

وعَلى هذا جرى أهل الحديث في الكلامِ على الرجال، حيثُ نصوا على أن الجرح المفسَّرَ مقدم على التعديلِ، إلا أن ينفي المعدل سببَ الجرحِ بطريقٍ معتبرٍ، وهذا ما عناه الأصوليونُ بقولِهم في قاعدةِ: (المثبت مقدمٌ عَلى النافي): (إلا

إذا تضمَّن النفي الإثبات فيقدم)، وقَد يسرَ الله إيضاحَ ذلك بتوفيقه في رسالة "البرهان المنقول على ما خالفَه العدني وحزبه من الأصول" وهي على شبكة العلوم السلفية.

ولم نرَ منك –وفقك الله– في موقفكَ في الدفاعِ عن الحزب العدني ونفي الحزبية عنهم، وتبرئتهم من لوَثِها، ولا لغيركَ من أمثالِ عبيد ومحمد بن هادي، والإمام والبرعي وغيرهم في اليمن كلاماً علمياً محقَّقاً في نفي حزبيَّتِهم سوى التهجمات والأحكام المُجردة عَن الدليل، والعباراتِ العارية عن البرهان، التي هيَ في منهج السلفِ بغيٌ وجورٌ.

ومثلُ هذا في منهجِ أهل الحديثِ والعلم والتحقيقِ لا يترك به الحقُّ القائم على البرهان والحقائق الموثقة، إذ لو أن كلَّ من ادعى دعوَى قبلت منهُ بلا برهانٍ لانتهكتْ الأعراضُ، وأزهقت الأنفس، وضاعت الحقوق ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ﴾

۞ وأذكركَ –وفقك الله– بخطر منهج لزوم الأخذ بكلام المتكلم في غيرِه بلا بحث عن السببِ –أي البرهان–، الذي رددته أنتَ على فالحِ الحربي، وقلت ما معناه: أنهُ منهجٌ يفتح بابَ إهدار أهلِ الحق عَلى مصراعيه.

فهل كانَ بالأمسِ كذلك ومن أساليبِ الحدادية الماكرةِ، وانتهت صلاحية هذا الحكم وصارَ اليوم واجباً يجبُ التزامهُ مع الشيخ ربيع –وفقه الله–.

فلا سبيلَ –وفقك الله– للخروج من هذه المواقف المتنافيةِ إلا بالتزامِ منهج أهل الحديث في نفي الأحكامِ المثبتة ببرهان ونفي حقائقها في حزبية الحزب العدني، و تفصيل النفي ، ومناقشةِ الحقائقِ بالنقاش العلميِّ كي يجري مجرَى الاعتبار، فقَد سئمَ الناسُ الدعاوى العارية عَن البراهينِ، وربتهُم الفتن عَلى المطالبة بالبرهان، والأخذ بالحق، ورفض ما سواهُ، والواقعُ أكبرُ شاهدٍ ، والتجربة ميدانُ الوقوف على الحقيقة، كما قال بعضُ المتكلِّمينَ حينَ رجع عن علم الكلامِ: ومَن جرَّب مثل تجربتِي عرفَ مثلَ معرفتي، نسأل الله الستر.

فهذهِ أسسٌ شرعيَّة، وثوابتُ سلفية لو وضعتَها –وفقك الله– نصبَ العينِ لَم تصرْ إلى ما صرتَ إليه، ولكن كل خطأ وزلل فأصلهُ من مخالفةِ الثوابتِ الشرعيَّةِ السلفيَّةِ والمصير إلى سواهَا، ومَن زلَّ أو أخطأ فلهُ في إصلاحِ الموقف، وتدارك الخطأِ فسحةٌ وسِعَةٌ، غيرَ أن دونَ ذلكَ أمورا لا بدَّ أن يُراعيهَا الإنسان في نفسِه كي ينفعَه الله ويوفِّقَه، أُذكِّرُ بهَا نفسي ومَن عنيتُ بالرسالةِ، وهي:

۞ ألا يزنَ الإنسانُ الأُمورَ بنفسِه، مَن بغَى عليهِ، وسعَى في حربِه وعدواتِه وأذيتِه ومخالفتِه، أدانَه بالفتنةِ والانحرافِ، وشنَّ عليهِ الحملاتِ الشرسةِ، ووصفَه بأنهُ شر أهل البدع والأهواءِ، ويُخشَى عليهِ من الزندقةِ، كما فعلتَه مع أبي الحسن وفالح والحلبي –وهُم بذلكَ حقيقٌ–.

ولكن لا يعنِي هذا أنَّ مَن بغَى على غيركَ من العلماءِ الدعاةِ إلى سبيلِ الله وعلى دعوتِه، وسعَى في حربِهَا وعدواتِها وتمزيقِها وتشتيتِهَا وهدمِهَا و تغيير مسارِها بالأفكارِ الخلفيةِ –إن أبدَى لكَ الإجلال والاحترام– لا تُدينُه

أفعالُه هذه تجاهَ هذا العالم ودعوتِه، ولا تلوثهُ أفكارُه بالفتنةِ والانحرافِ، ولا توجبُ التحذيرَ منه، والحكمَ عليه بِما يستحقُّ من حكم شرعيٍّ.

فإن الله تعالى لَم يعذرْ مَن كذَّبَ نبيًّا أو كفرَ به، وإن كنَ مصدِّقاً ومؤمناً بآخر، كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ولم يكُن قبله رسولٌ، فالكفرُ بنبيٍّ كفر بسائرِ الأنبياءِ، وتكذيبُ نبيٍّ تكذيبٌ لسائرِ الأنبياءِ.

وكذلكَ يقال: مُعاداةُ دعوةِ الحقِّ في بلدٍ ومحاربتُها والبغيُ عليهَا وعَلى أهلِها، مُعاداةٌ ومحاربةٌ وبغيٌ علَيها وعلى أهلِهَا في كلِّ أرضٍ وبلدٍ، وأهلُ الحقِّ جسدٌ واحدٌ إذا اشتكَى منه عضوٌ تداعَى له سائرُ الجسد بالحمَى والسهرِ بنصرتِه وتأييدِه والذبِّ عنهُ ، فلا يخذلُه ولا يسلمُه، فضلاً عَن أن يسعَى في حربِه وعداوتِه، والبغِي عليه في جملةِ الباغين المعتدين، فإن هذا ضلالٌ مبينٌ.

فانظر –وفَّقكَ الله–إلى أفعال هؤلاءِ المنكرةِ القبيحة الثابتة وأفكار "الإبانةِ" القبيحة كأنكَ أنتَ المقصود بها، وستدرك –إن شاءَ الله– شناعةَ فتنتِهم، وعظيم جرمِهم وانحرافهم، وخطورةِ ثورتِهم، فإن وزن الإنسانُ الأمورَ بنفسِه فدونَ إقرارِه واعترافِه بحقِّ غيرِه وحرمته ودعوتِه خرطُ القتاد، وهذهِ مزلةٌ عظيمةٌ، قد يُؤتَى الإنسان من قبلِها، نسأل الله التوفيق.

۞ ولْيَحْذَرْ ألا يَرَى حقًّا إلا ما جاءَ مِن قبلِه وتبناهُ وتولاه، وإلا ردَّه ورفضَه وعاداهُ، وإن ظهر صدقُه وصوابُه، فإن بمثلِ هذا ضلتْ من الخلقِ أُممٌ عَن صراطِ الله المستقيم، كما قال سبحانهُ وتعالى عنهم :﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾

وهل كفرتْ يهودٌ بالرسالةِ المحمَّدية على صاحبها أفضلُ الصلاةِ والسلام، مع يقينهم بصدق نبوتِه إلا حينَ كانت خاتمةُ النبوةِ في غيرِهم.

ولقَد كانَ أميةُ بن الصلت الذي قالَ عنهُ النبي صلى الله عليه وسلم: <أسلمَ شعرُه ولم يسلم قلبهُ> مستبشراً بدعوة النبوةِ الحنيفية ظاناً أنهُ صاحبُها، فلما كانت لخير الخلقِ محمد صلى الله عليه وسلمَ كفرَ بِهَا، وبقيَ على ملة الشركِ التي كانَ يذمُّها قبلَ البعثةِ.

والعبدُ الموفقُ لا يُهمه أجرَى الله الحق على يديهِ أو على يدِ غيرِه، وسواءٌ توجهتِ الأنظارُ إليه أو إلى غيرِه، شكرَه الناسُ أو لَم يشكرُوه، ولذا كانَ الشافعيُّ يقولُ: ما ناظرتُ أحداً إلا رجوتُ أن يُجريَ الله الحقَّ عَلى لسانِه.

ومن أبى إلا أن يكونَ هوَ الآمرُ الناهي، أو صاحبُ الشرفِ والجاه فسدَ دِينه، ودفَعهُ حرصُه على المحل والمكان إلى ردِّ الحق ومخالفتِه ورفضِه كما قالَ النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»

وجاءَ في السيرةِ النبوية أن حُيي بن أخطب، وأخاه أبا ياسر بن أخطب ذهبا ينظرانِ أمرَ النبي صلى الله عليه وسلم حينَ هاجرَ إلى المدينةِ حتى أمسيا، فقال حيي بن أخطبٍ لأبي ياسر: ما ذا رأيتَ: فقال: إنه الذي نجده في كتبنا، فقال حُيي: فإلى أي شيءٍ أنتَ صائرٌ فقال: عداوته ما حييتُ.

فالمؤمنُ الصادق ولا سيما العارفُ بالله والعالم بخطرِ تحمل أوزار الخلقِ يرجفُ فؤادُه من خطرِ هذا الداءِ الفتاك، فيودُّ أَن لم يقل شيئاً وأن غيرَه كفاهُ كما جاءَ عَن عمرَ أنهُ قال وقَد جعلَ بعضُ الناسِ يُبشرُه عند موتِه، قال: وددتُ أن أخرجَ مِنهَا كفافاً لا لي ولا علي.

ونُقلَ عن الشافعي أو غيرِه أنه قال: وددتُ أني لَم أقل شيئاً، ولم يُكتبْ عني شيءٌ. ولقَد كانَ الفقهاءُ السبعةُ يتدافعُون الفتوى حتى تصلَ إلى آخرِهم، وترجعَ إلى أولِهم، فلا يجدُ بُدًّا من الإفتاءِ كما ذكرهُ ابنُ الجوزي في كتاب "تعظيم الفتوى".

فكيفَ يليقُ بِمن ينتمي إلى منهجهم أَن لا يَرى لغيرِه حظاً ولا نصيباً من الفضل العلمي والدعوي، ويَرى أن الأحقيَّة له، ومَن خرجَ عَن الطواعيةِ له، ولزومِ غرزِه، فقد افتأتَ وأساءَ، فالفضلُ فضلُه سبحانهُ، والأمرُ أمره، والخيرُ كلُه بيده يؤتيه من يشاءُ.

۞ لكن هذه المقامات العظيمة التي سبقَ التذكير بِها تحتاج إلى تجردٍ عظيمٍ يقهرُ أنفةَ النفس وعزَّتها التي جُبلتْ عَليهَا، ولا سيما إذا تحقق أن عواقبَ هذا حميدةً تنعكسُ بهِ أوهامُ النفسِ المُبعدةِ عن التجرد للحق ابتداءً أو بعدَ التباسٍ وزللٍ، كظن سقوطِ المكانةِ وانخفاض المنزلةِ أو انسحابِ البساطِ وتحول التفات الأنظار إلى الغيرِ أو نحو ذلكَ من أوهام النفس الحائلة بين العبد والحق، فمهمَا تصورَ الإنسان منها أو قيلتْ فحاسبَ نفسَه وألجمَهَا بلجامِ الحقِ والتجرد والإنصافِ، زالت وصارتْ محامد.

والواقع أن الامتناعَ من الاعترافِ بالحق والفضيلة للغير من أجل هذه الدوافع تزيدُ العبدَ سقوطاً وسفولاً ونفرةً عنه كما يدل على هذا حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: <من أرضى الله بسخطِ الناسِ رضي الله عنهُ وأرضى الناس عنه، ومن أرضى الناسَ بسخطِ الله سخط الله عليه وأسخطَ الناس عليه.

ولهذا قال ابنُ سيرين: مَن آثر الملاومَ في موافقةِ الحق رد الله عليه تلك الملاومَ كلها حمداً، ومن آثر المحامدَ في مخالفة الحق رد الله عليه تلكَ المحامدَ كلها ذماً.

ولهذا اقتَضت هذه الأنفة تركَ ذويها من المحدثين كما قرر أهل الحديث ، وهذا لا يجهله من له عناية بعلم الحديث وأخبار الرواةِ.

۞ وأخيراً تذكرْ –وفقكَ الله وسددكَ– أن عواقبَ البغي بالدفاع عن المتحزبين البغاةِ على دارِ الحديث معقل العلم والسلفية وعالمها، أو غيرِه، والوقوفِ في جانبِهم بلا درايةٍ ولا رويَّةٍ، وبعيداً عن التزامِ الثوابتِ الشرعية السلفية في اتخاذ الموقف الشـرعيِّ عندَ الخلاف، واتهام المحق بالباطلِ، وإلقاء الأحكام الجائرةِ بلا دليلٍ ولا برهان،

كفرية الحدادية التي صارت تهمةً جاهزةً لَمن لم يدخل تحتَ الطواعيةِ في الكلامِ على المخالفينَ كما فعلتَ مع الأخ الفاضل البعيد كل البعد عن المنهج الحدادي خالد الغرباني، ومع الأخ الفاضل الشيخ محمد بن إبراهيم المصري وغيرهم من طلاب العلم، ثم مع شيخنا يحيى –حفظه الله–، ولم تأتِ ببرهان يثبتُ صحةَ ما تقول، سوى إلقاءِ الأحكامِ والألفاظِ النابية التي لا تمتُّ إلى البرهان والمنهج العلميِّ بصلةٍ.

والبغي مرتع أهلِه وخيم، فإن الله يدافعُ عن أولياءهِ، ومن عاداهم حاربَه كما قال تعالى في الحديث القدسي: <من عادى لي ولياً فقد آذنتهُ بالحرب>.

ولا يخفى على عاميٍّ في أطرافِ الدنيا أن دارَ الحديث حوت بين لابتيهَا من الصالحين حفاظ القرآن والسنة وممارسي علوم الشريعة والدعاة إلى الله ناهيك بجهود عالِمِها العلميَّة العظيمة في نشر العلم والسنة والتوحيد والتصدي للفتن التي تلاطمت بالأمةِ الإسلامية من كل جانب ومواقف البسالةِ في حرب الرافضة ومواجهتم بالحرب والبيان في عقر دارِهم، وقد جاءوا أهل دارِ الحديث من فوقِهم ومن أسفل منهم، وهم في ثبات واستمرارٍ في نشر العلم والسنة والتحذير من الرفض وأهلِه وتحقيرِهم وإهانتهم، صابرين على ما يصيبهم من اعتداءِ الرافضة بين الحين والآخر بالقتل أو الأسر لبعض طلاب العلم ، ما لو حلَّ هذا البلاء بمَن ينصبُ العداءَ لدار الحديث وعالِمِها وطلابه من بلاد اليمن أو الحرمين لما ثبتَ هذا الثبات العظيم، واستبسلَ هذه البسالةِ الكبيرةِ، وهذا من فضل الله وتوفيقه.

ولا يشكُ من به بقية خشية من الله، وخوف عقابِه في الدنيا والآخرة أن من ينصب العداءَ لمثل هؤلاءِ في ظل هذهِ الأوضاعِ الشديدةِ أن الله له بالمرصاد، يُخشى أن يُنزِلَ به عقوبته وخزيَه في الدنيا قبل الآخرةِ، لأنه بذلكَ صادٌّ عن سبيل الله، ورب العزة يقول: ﴿ وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾ ﴾.

واعلم أنكَ بهذا الموقف خسرتَ أعظمَ منافعٍ بعدكَ عن المنهج السلفي الذي تحملتَ أنواعاً من المشاقِّ، وقضيتَ عمركَ في الدفاعِ والنفاح عنه، وارتكزت دعوتُكَ في الردِّ عَلى مُخالفيهِ، واخترتَ من لا يرفعُ رأساً لهذا المنهج الرباني الذي ارتكزتْ دعوتك على الرد على مخالفيه، إِن لَم يَكُن مُناوئاً في الواقع–وإن كانَ يجاملُكَ– فلا أقلَّ من أن يكونَ لا يهتزُّ له إحساسٌ إذا بُغِيَ على المنهج السلفي الذي دعوتَ إليه طيلةَ عمركَ وارتكزت دعوتكَ على الردِّ على مُخالفيهِ والنفاح عنهُ.

فلا يليقُ بكَ –سددكَ الله– أن تستَبدلَ الذي هو أدنَى بالذي هوَ خيرٌ، فإن من توفيق الله للعالمِ أن يهيئ بعدهُ مَن يذبُّ عن دعوتِه ويذود عن حياضهَا، وذلك لا يكونُ إلا بأن يُختمَ له وهو على الجادةِ التي عاشَ علَيهَا، لم يغيِّر ولم يملْ عَنهَا.

بَل إن مُناوئة الحقِّ وعداءَ أهلِه، والدفاعِ عَن الباطلِ والذب عَن أهلِه ضلالٌ، لا يخلو صاحبُه إما من اعتقاد الباطلِ، أو الدفاعِ عن أهل المحادةِ والمشاقَّةِ، وكلا الأمرينِ ضلالٌ وفتنةٌ.

كما قالَ العلامةُ البقاعي في كتاب "مصرع التصوف" في الرد على مَن يحامي عَلى ابنِ الفارضِ: وأمَّا من يحامي عنه، فهو دائر بين اعتقادِ ما تضمَّنه كلامه، وذلك هو الكفر الموجب للسيف في الدنيا، والخلود في النار في الأخرى، وبين الذب عنه، مع الجهل لما قال، -**وذلك موجب لمودة من حاد الله ورسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الموجبة لعداوتها الجارة إلى كل شقاء!!**-.

وهكذا الحُكم فيمن يُحامي عَن صاحبِ باطلٍ وفتنةٍ -ولو لم يكُن كفراً وزندقةً-، دائرٌ بين تبنِّي باطِلِه وفتنتِه، وبينَ مودَّة مَن لهُ نصيبٌ من المحادَّةِ لله رسولِه وهذا ضلالٌ وفتنةٌ.

۞ ولا سيما أن دفاعكَ عن أصحاب الحزب الجديد تردُّه ردودكَ على المخالفين، فكلُّ ما أدينُوا به قَد أدنتَ به أنتَ غيرَهم، والطريقُ التي أدينُوا بِهَا هي الطريقُ التي أدنتَ أنتَ بها غيرَهم، ولو نظرتَ إلى الردودِ العلميَّةِ على الحزب الجديد وأنصارِه من أمثال الوصابي وعبيدٍ وغيرِهما، والردودِ العلميةِ على كتابِ "الإبانةِ" الخلفيِّ التمييعيِّ للإمامِ لرأيتَها مليئةً بالنقولِ من ردودِكَ على المُخالفين.

فمصيبةٌ أن تُحاميَ عَمَّن تُدينُه ردودُكَ على من قبلَهم من المخالفين، ولا يخفَى أن أحكامَ الله لا تتغير ولا تختلف، وإنما يتغيرُ البشـر، والله لا يغيرُ ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسِهم، ومَن كانت الحُجَّةُ عليهِ حُجَّتهُ عَلى غيره فموقفُه ضعيفٌ لاُيحسدُ عليهِ، ويَرى كلُّ منصفٍ أنهُ غيَّر ما كانَ عليهِ من سيرٍ ومنهجٍ، ونرجو -وفقك الله وسددك- أن تكونَ أنبلَ من الوقوعِ في هذا المنعطفِ الخطيرِ.

۞ فاحرص -وفقك الله وسددك- على السلامة، ولا سيما في آخر الطريق، فإن الشيطانَ حريصٌ على إفسادِ العبد ولا سيما في آخر عمرَه، وليس هناكَ حي إلا وهوَ عرضةٌ للانقلابِ يوماً من الدهر إلا من ثبتَ الله وعصم.

فالموفق من يحاسبُ نفسَه، ويسعى في إنقاذ نفسه من هذا الخطر، وينقيها من شوائب الأنفةِ والحرص على الشرف والجاهِ والمنزلةِ، التي أفسدت على كثير من الناس دينَهم وقَد كانوا في مقامٍ عالٍ، والخذيلة كل الخذيلة أن ينظر الإنسان إلى نفسه نظرة سلامة من هذه الأدواءِ، وأمنٍ من نزواتِ النفس الأمارةِ بالسوءِ، ونظر إلى نفسِه بعين الكمال.

وسلامةُ العبد من ذلك كله أن يربط العبد نفسَه بالحق وبأصول الشريعة، ويزن أقوالَه وأفعاله واعتقاده بميزان المنهج السلفي ودين الله الحق، ولا يضرُّه أحدٌ إن كان مع الله، فإن من كان مع الله كان الله معه في حلهِ وترحالِه، وكان حسبه ونصيرهُ، ولا ضيرَ عليهِ بإذن الله تعالى، انتهى المقصود والحمد لله رب العالمين.

كتبها

أبو حاتم سعيد بن دعاس المشوشي اليافعي

في جدة -المملكة العربيةِ السعودية .اهـ